اليسار والاجهاض

حسن طارق
الأربعاء 17 أكتوبر 2012 - 10:51

على جداره في صفحة الفايسبوك،يكتب اليساري الشاب متسائلا:

ما موقف أحزاب اليسار من الاجهاض؟

الحياد الماكر للاستفسار لا يستطيع ان يلغي الجنوح الاستنكاري المتضمن داخله.الشاب الفبرايري على بينة من الجواب،لكنه يريد أن يستفز قليلا بداهة "العقل اليساري المغربي"،يريد ان يعلن احتجاجه على ما يعتبره بمثابة "اللاموقف".هو يخاف – ربما- ان يكون اللاموقف حليفا للرجعية،بتعبير الجملة المنقولة عن" لينين".

يتوالى مرور أصدقائه، و أصدقاء أصدقائه على سؤاله الصغير المعلق على الشبكة الزرقاء،الكثيرون يضعطون على زر "أحب" ويمضون.لا يعرف ان كان عبورهم هذا تزكية لسؤاله الاستنكاري ام مجرد تحية سريعة.القليلون يتوقفون برهة أمام لوحة مفاتيح حواسيبهم او هواتفهم لكي يخطو تعليقا قصيرا؛التعاليق العجلى تتباين جدريا في تقدير الجواب،بين الرافضين لأسباب دينية قطعية لها علاقة بالحلال و الحرام وما بينهما،الرافضون لاسباب سياسية لها علاقة بالتكتيك و الملائمة و التوقيت،الرافضون بلا سبب واضح،ثم قليلا من المدافعين عن تقنين الاجهاض.
عبر العالم،اليوم،تحتل قضية الاجهاض إحدى بؤر الحوار داخل المجتمعات الحديثة.أكثر من ذلك أصبحت الى جانب قضايا أخرى تصنف في خانة الاشكاليات المجتمعية التي تحولت الى محدد حاسم لطبيعة التقاطبات السياسية بين عائلتي "اليسار" و "اليمين"،أو في جغرافيات سياسية أخرى بين المحافظين و الليبراليين.

لقد انزاح التقاطب الايديولوجي تدريجيا من دائرة المشاريع الكبرى و " اليوتوبيات" الى دائرة "السياسات العمومية" ثم الى التموقع تجاه اسئلة النقاشات المجتمعية حول الحرية الفردية وامتداداتها القيمية.

سلطة الرأي العام في الدول الغربية،لا تجعل السياسيين في معزل عن "مخاطر" اعلان الموقف في مثل هكذا قضايا ،حيث يبرز التقاطب واضحا بين مكونات المجتمع المدني و ووسائل الاعلام و حتى الكنائس.

مغربيا، يمكن المجازفة بالقول بأن اليسار المغربي ظل يسارا للدولة، أكثر مما هو يسار للمجتمع، إذ ظلت الممارسة السياسية

بالنسبة إليه تتجلى أساسا في تدبير العلاقة مع الدولة، وظل سؤال "الدولة"، بما هو سؤال الاصلاح السياسي والمؤسساتي والدستوري، هو الحلقة المركزية لخطه السياسي، وظل متمسكا بفكرة أولوية الإشكالية السياسية، على ما عداها من إشكاليات المجتمع، وظلت علاقته بالمجتمع وبتعبيراته تحملا تصورا إلحاقيا، وظل يفكر في "التوافق" بمنطق الإصطفاف مع الحكم في إطار "النخبة" المتمفصلة عن مجتمعها، وظل يفكر في "المشاركة الحكومية" كتكثيف لرهانه الدائم على "الدولة"،و ظل يتصور الدولة الامكانية الوحيدة لتحديث "المجتمع المتأخر".

اليوم، فإن هذا النموذج من ردود الفعل السياسية، يبدو في حاجة إلى تغيير جدري تجاوبا مع تحول السياق العام، وضمانا لاستمرارية المشروع اليساري، هذا التغيير الجدري نقدر أن شعاره العريض هو الانتقال من يسار الدولة إلى يسار المجتمع.

لقد تحولت الدولة و تغير المجتمع.لم يعد اليسار يحتكر "الفكرة الديمقراطية"،لقد نجحت الدولة في تأميم ايديولوجيا الاصلاح، و نجح المجتمع في اطلاق دينامياته المدنية و الاجتماعية المستقلة.

لم يعد اليسار المحارب الوحيد في جبهة"السياسة"، ولم يعد الفاعل المهيمن في جبهة "الثقافة"،و الاسلاميون منخرطون في مشروع أسلمة المجتمع عن طريق مايسمونه بالتدافع القيمي.مشروع اعادة بناء مشروعه يمر بالضرورة عبر العودة الى المجتمع،عودة فكرية و تنظيمية و سياسية.مهمتها اعادة امتلاك المسألة الاجتماعية و التموقع داخل النقاش حول القضايا المجتمعية.